مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد: 01 يناير 2022 ص ص: 187-206
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

نشأة علم تحقيق المخطوط عند المسلمين والمستشرقين

The birth of the science of manuscript investigation among Muslims and orientalists

غربي بغداد ♦

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

baghdadgharbi@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/10/31 تاريخ القبول: 2021/12/14 تاريخ النشر: 2022/01/31

الملخص باللغة العربية: يعتبر المخطوط من الوثائق المهمة التي تبنى عليها الدراسات والبحوث الاكاديمية الحديثة؛ كونها تكشف اللثام عن كثير من الجوانب العلمية المبهمة في مجالات وتخصصات البحث المختلفة، فضلا عن كونها تعكس مكامن القوة الفكرية والحضارية للامة الاسلامية عبر العصور.

غير ان هذه النصوص والوثائق المخطوطة لابد ان تخضع لعملية التحقيق العلمي من اجل اعطائها صبغة صحيحة خالية من عوامل التغيير والتحريف التي تتعرض لها هذه المخطوطات عبر الزمن، ولا يكون ذلك الا بعلم التحقيق الذي يعتبر الالية المنهجية في اخراج هذه النصوص الى النور، هذا العلم الذي يعتبر باكورة جهود كثيرة وعديدة عبر الزمن حتى وصل الى ما هو عليه اليوم.

ان المقال يبحث في اصول نشأة علم المخطوط ومختلف الاسهامات التي شاركت في تكوينه انطلاقا من فرضية تفرد علماء الاسلام بإنشائه، ام تفرد المستشرقين في العصر الحديث بتكوينه؛ وصولا الى نتائج تجمع حقيقة السبق الى تكوين هذا العلم ومختلف الجهود التي عملت على ارساء اصوله وقواعده.

الكلمات المفتاحية: علم التحقيق؛ المخطوطات؛ الحضارة الاسلامية؛ المستشرقين؛ علماء الاسلام

Abstract: The manuscript is considered as an important document on which modern academic studies and research are based, as it reveals many vague scientific aspects in various fields and

♦ المؤلف المرسل

disciplines of research, as well as reflecting the intellectual and cultural power of the Islamic nation through the ages.

However, these texts and manuscript documents must be subject to the process of scientific investigation in order to give them a correct character free from the factors of change and distortion to which these manuscripts are exposed over time, and this is only with the science of investigation, which is the methodological mechanism in bringing these texts to light, a science that is considered the first of many efforts over time until it reached what it is today.

The article discusses the origins of the emergence of codicology and the various contributions that participated in its formation based on the premise of the uniqueness of Islamic scholars in its creation, or the uniqueness of orientalists in its composition in the modern era, to the results of the gathering of the truth of the pre-eminence to the formation of this science and the various efforts that worked to establish its origins and rules.

Key words:

Science of investigation, Manuscripts, Islamic Civilization, Orientalists, Islamic Scholars

مقدمة: يعتبر المخطوط ارثا حضاريا مهما، ويتبوأ مكانة علمية رفيعة في اوساط الباحثين والاكاديميين، فهو يعتبر من الشواهد الاساسية على مدى تحضر امة من الامم او بعدها عن المدنية والتحضر، وذلك تبعا لتوفر هذه الأمة او تلك على قسط وافر من النتاج العلمي او قلته اوانعدامه، كما انه يعتبر مادة علمية خصبة في حقل البحث العلمي باعتبار هذه المخطوطات تحمل حقائق علمية وتاريخية لم تتداول من قبل في مجالها، فهي- هذه المادة العلمية الموجودة في المخطوط- بذلك تكشف اللثام عن كثير من الحقائق، وتحمل في طياتها الكثير من المستجدات في مجالات علمية شتى، الامر الذي يؤهلها الى تبوء مكانة مميزة في ثنايا ببليوغرافيات البحث العلمي.

ونظرا لهذه الأهمية التي يكتسيها هذا الإرث الحضاري[1] عكف الباحثون على إخراجها من دهاليز الخزائن المختلفة العامة والخاصة منها؛ هذه الاخيرة التي كانت تعتبر هذا الإرث حكرا على أسرة أو بلدة دون غيرها، إلى النور بجعلها متداولة بين أيدي الباحثين، وذلك بعد تحقيق هذه المخطوطات وفق اصول التحقيق وقواعده المنهجية، فحظي بذلك علم التحقيق بمكانة مهمة بين المناهج البحثية الحديثة.

إن الحديث عن علم التحقيق وأهميته يجرنا إلى الحديث عن تاريخ نشأته وتطوره، فاعتبر الإشكال التالي عمود هذا المقال والتمحور حول: كيف نشأ وتطور علم تحقيق المخطوطات؟ وهو إشكال تنضوي تحته مجموعة من الأسئلة المكونة لمحوره؛ كماهيته؟ وأهميته؟ ومن هو السباق إلى تأسيس أصوله وقواعده؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية، وبناء على الرأي العلمي المطروح نعتبر علماء الإسلام وخاصة علماء الحديث والمصطلح منهم من وضع النواة الاولى لهذا العلم لاعتبارات وشواهد علمية وتاريخية كثيرة، مع الأخذ بعين الاعتبار الافتراض السائد حول تصدر المستشرقين لمهمة إنشاء هذا العلم.

وعليه سيحاول المقال البحث في هذه الجوانب من ناحية علمية تاريخية بهدف الوصول إلى المكون الأساسي لنواة هذا العلم – ألا وهو علم تحقيق المخطوط- مع إبراز الجهود العلمية المبذولة في هذا الشأن دون إقصاء.

1-تعريف التحقيق وأهميته:

1-1 تعريف التحقيق: للتحقيق معاني كثيرة في اللغة وفي الاصطلاح وحسب العلم الذي توظف فيه وفيما يلي التعريج على هذه التعريفات ومعانيها.

1-1-1 التحقيق في اللغة:

التحقيق على وزن" التفعيل " مشتق من الفعل حقق ويحقق وهو يدل على معنى الإحكام والصحة، فحققت الشيء إذا أحكمته واثبت صحته، وكنت على يقين منه،ووقفت على حقيقته، والحق هو اليقين بعد الشك وهو ضده، فحقّ الأمر وأحقه: أي

1- عن مدلول معنى التراث المخطوط وتطوره ينظر: محمد طه الحاجري، دراسات في التراث، مجلة عالم الفكر، مج 8، عدد 1، 1977، ص: 11 وما بعدها.

أثبته وصار حقا لا شك فيه ، وقد جاء معنى التحقيق على هذا النحو في اغلب معاجم اللغة[2] .

1-1-2 التحقيق في الاصطلاح:

التحقيق في المعنى الاصطلاحي هو إثبات القضايا و المسائل بالدليل وإخراج الأخبار بالصحيح، يقول التهانوي: " التحقيق في عرف أهل العلم : إثبات المسائل بالدليل "[3] ، وهو بهذا المعنى عند الجرجاني وغيره، غير أن هذا الاصطلاح هو عام يمكن إسقاطه على كل علم وتخصصه[4] .

بينما التحقيق المتعلق بالمخطوطات فهو علم يعنى بدراسة المخطوط وفق آليات منهجية مخصوصة لإخراج المخطوط للنشر على الهيئة الصحيحة النى تركه عليها صاحبه، فهو بذلك علم مستقل استعمل عند الحاجة إليه كوسيلة لضبط النصوص وصيانها من الآفات التي يتعرض لها المخطوط عبر رحلة حياته الزمنية الطبيعية منها كالتلف الحاصل من تأثير الرطوبة، أو التآكل الواقع بسبب الأرضة، أو عوامل بشرية كالتحريف والتصحيف وغيرها من العوامل التي تعرض له. وهذا المعنى يتفق فيه جل الباحثين المتخصصين في مجال تحقيق المخطوطات على اختلاف بينهم في ألفاظ تعريفاتهم.

فهو بذل عناية خاصة بالمخطوطات، حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة ، فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه وكان متنه

2- ينظر: ابن منظور، محمد عبد الله بن المكرم، لسان العرب، مج1، دار المعارف، القاهرة، ص: 940 وما بعدها، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ، 1979م ، ج 2 ، ص 15 . الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، بيروت ، دار الفكر العربي ، 1422هـ ، ص 148 . الزمخشري ، محمود بن عمر بن احمد، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م، ج 1 ، ص 203 .

3- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، ص: 392.

4- نفسه، نفس الصفحة.

أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه[5]، وهو "العلم الذي يبحث فيه عن قواعد نشر المخطوطات أو هو دراسة قواعد نشر المخطوطات"[6]، وهو بذل الجهد والعناية في إخراج المخطوط بصورة صحيحة كما وضعه مؤلفه [7]. والتعريفات الاصطلاحية كثيرة يصب كلها في هذا المعنى.[8]

وبالتالي، فان علم تحقيق المخطوط هو علم يعنى بالبحث في الضوابط والآليات المنهجية التي يتم بها ضبط النص المخطوط وإخراجه للنشر على الهيئة الصحيحة التي ترك عليها بعد فقدان النص الأصلي للمؤلف وحدوث التغيير والتبديل في النسخ الثانوية لهذا المخطوط أو ذاك، فهو بذلك علم تراكمي استمد تكوين اصوله ومناهجه من عدة جهود وعلى امتداد أزمنة مختلفة .

1-2 أهمية علم تحقيق المخطوط

تحفل الحضارة العربية الإسلامية بزخم هائل من هذه المؤلفات المخطوطة في شتى العلوم والفنون، فهي تمتلك بحق إرثا نفيسا يرقى بها إلى مصاف الأمم المتحضرة - إن لم نقل تتبوأ به صدارة هذه الأمم- فكريا وحضاريا طيلة فترة ما يسمى بالعصور الوسطى، حيث تقدر هذه الثروة العلمية بما يربو على ثلاث ملايين مخطوط حسب تقدير معهد المخطوطات العربية[9]، وهي تصل إلى العشرة ملايين إذا ما احتسبنا المكررات منها، موزعة على دور وخزائن المخطوطات العربية والعالمية، وهي تعكس عظمة هذه الحضارة ومدى تطورها وفضلها على الحضارة الغربية الحديثة في زمن كان العالم يقبع فيه تحت وطأة الجهل والتخلف.

5- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م، ص 42

6- عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص: 36

7- محمد عجاج الخطيب، أصول التحقيق بين النظرية والتطبيق، بحث نشر في كتاب صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد " ندوة " ، ص 350.

8- بشار عواد معروف، ضبط النص والتعليق عليه، مؤسسة الرسالة، 1402هـ/1982م، ص: 7. محمد طه الحاجري، تحقيق التراث تاريخا ومنهجا، مجلة عالم الفكر، مجلد8، عدد1، 1977م، ص: 18.

9- احصائيات معهد المخطوطات العربية

ولا يخفى أنّ هذا التراث قد تعرض لحملات انتهاك عدة؛ بدْءا بالحملات الصليبية والحروب المغولية، مرورا بسرقات مرحلة الكشوفات الجغرافية، وصولا إلى الاستنزاف الذي تعرض له في فترة الحملات الاستعمارية الحديثة على الدول العربية والإسلامية، وما تبقى من بقية من هذا التراث لا يزال حبيس الخزائن والمكتبات العامة منها والخاصة، ولم ير النور بعد من هذه المخطوطات إلا العدد اليسير إذا ما قورن بما لم يحقق وينشر بعد.

إن هذه التحديات التي تواجه التراث المخطوط دفعت النخبة المتخصصة والوزارة الوصية إلى اتخاذ عدد من الإجراءات للحفاظ على هذا الإرث الحضاري من خلال إنشاء المخابر[10] المتخصصة في فهرسة وترميم المخطوطات، والقيام بإجراءات الحفظ، إضافة إلى تشجيع عملية تحقيق المخطوطات ونشرها في اعمال البحث في الدراسات العليا كرسائل الماجستير والدكتوراه، إذ تعتبر هذه الأخيرة أنجع طريقة للحفاظ على المخطوط من الاندثار.

لذلك يعتبر الحديث عن علم التحقيق ونشأته واهم رواده من اهم الموضوعات في هذا المجال، خاصة اذا ما اكتنف الموضوع بعض اللبس والاختلاف، مع وجود جوانب مغمورة منه، حيث يرى الكثير من الباحثين ان هذا العلم انبثق في العصر الحديث من جهود المستشرقين في نشر التراث العربي المخطوط، بينما يرى الباحث في تاريخ الحضارة الإسلامية وجود جهود كبيرة من علماء الإسلام في وضع أسس ضبط النصوص ونشرها خاصة علماء الحديث[11]، وما كانوا يمارسونه على النصوص من إجراءات

10- أنشئت أربع مخابر على المستوى الوطني ، مخبر بجامعة وهران وهو مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا تحت اشراف وادارة البروفيسور عبد المجيد بن نعمية بجامعة وهران، ومخبر بجامعة الجزائر، والثالث بجامعة قسنطينة ، والرابع بجامعة ادرار.

11- هناك ثبت هائل من المؤلفات المتعلقة بهذا الموضوع من انتاج علماء الحضارة الاسلامية منها: كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (الرامهرمزي ت: 360ه)، وكتب: تقييد العلم، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت: 463ه)، وكتاب الالماع الى معرفة اصول الرواية والسماع للقاضي عياض اليحصبي المالكي (ت: 544ه)، وكتاب معرفة انواع علوم الحديث لابن الصلاح(ت: 643ه)، وكتاب الاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد (ت:702ه)، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم لبدر الدين بن جماعة (ت: 733ه)، وكتاب منية المريد في اداب المفيد والمستفيد للعاملي (ت: 965ه) وغيرها من المصنفات.

تصب كلها في عمل المحقق في وقتنا؛ كالمقابلة بين النسخ، وإصلاح الخطأ وعلاج السقط والزيادة في النص، ووضع الحواشي وعلامات الترقيم والرموز والاختصارات[12]، وغيرها من الإجراءات السارية على النص آنذاك والتي تطابق إلى حد كبير ضوابط التحقيق الحالية إن لم نقل أنها اشد ضبطا وأكثر عناية من اجل الوصول إلى النص الصحيح؛ كونها تتعلق بضبط نصوص الوحي من كتب الحديث، وكتب العلوم الشرعية؛ من الفقه والتفسير وغيرهما وهي نصوص مقدسة أعطاها العلماء أهمية بالغة من حيث التثبت والتدقيق. .

وفي حقيقة الأمر؛ فان هذه الجهود المبذولة في تكوين علم تحقيق النصوص المخطوطة ثم العمل على إسقاطها تطبيقيا على النصوص المخطوطة ثم نشرها لم تكن وليد فترة محددة او شخص معين، إنما هي مجموعة من الجهود والتراكمات والاجتهادات لكثير من العلماء والباحثين تطورت عبر مراحل زمنية متعاقبة، ووصلت في آخر المطاف إلى تكوين ما هو متعارف عليه اليوم بعلم تحقيق المخطوطات المدون في العديد من الكتب الخاصة بمنهجية تحقيق المخطوطات[13].

2- أسباب ظهور علم التحقيق

الحديث عن التطور التاريخي لعلم التحقيق يجرنا إلى الحديث عن أساليب نقل العلوم وتطورها عند العرب والمسلمين، فلقد اعتبرت الرواية الشفوية والحفظ والنقل عن طريق السند الطريقة الأولى والأساسية في تلقي العلم ونقله عندهم، ولا شك أن ذلك جاء

12- حاتم صالح الضامن، المنهج الامثل في تحقيق المخطوطات، العراق بغداد، 1420هـ1999م، ص: 2.

13- مثل كتاب أصول نقد النصوص ونشر الكتب **للمستشرق الالماني برجستراسر جوتهلف** الذي يعتبر اول عمل حاول فيه صاحبه جمع قواعد التحقيق في نص واحد خلال القرن الفارط، وهي عبارة عن مجموعة من المحاضرات القيت على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة سنة 1931، وكتاب تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام محمد هارون، وهو اول كتاب مطبوع بالعربية في فن التحقيق بالقاهرة سنة 1954م، ومقال قواعد تحقيق المخطوطات لصلاح الدين المنجد الذي نشر بمجلة معهد المخطوطات العربية سنة 1955م، وغيرها من المؤلفات التي جاءت تترى بعد هذه اللبنة التي وضعها هؤلاء الباحثون.

نتيجة لتورع المسلمين عن كتابة غير القران لما ورد في ذلك من نهي النبي صلى الله عليه وسلم[14] مخافة اختلاط القران بغيره.

فالسماع المتمثل في تلقي العلم من طرف التلميذ على يد الشيخ مشافهة من فم الشيخ حفظا او قراءة من كتابه هو من ارفع طرق ودرجات تلقي العلم والرواية عند العرب القدامى، لما فيه من أمان التصحيف والتحريف والخلل الوارد في الطرق الأخرى، لذلك وصفه القاضي عياض بأنه " ارفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين"[15]. ويكون التصريح بالتحصيل عن هذا الطريق بلفظ: أملى علي فلان، أو سمعت من فلان، وحدثني او اخبرني فلان بصيغتي الإفراد والجمع، ثم تأتي بعد ذلك مراتب اخرى كالقراءة على الشيخ[16]، والسماع على الشيخ بقراءة غيره، والإجازة[17]، والمناولة[18]، والمكاتبة[19]، والوجادة[20]، وغيرها من الطرق الأخرى[21].

14- في الحديث الذي رواه الامام مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا تكتبوا عني شيئا سوى القران فمن كتب عني شيئا سوى القران فليمحه" مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، تح: محمد بيومي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ج18، ص: 102. كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم 2493.

15- القاضي عياض، الالماع، ص: 69.

16- وهي ان يقرا التلميذ على الشيخ من كتاب او من حافظته والشيخ يقارن ذلك بما عنده من كتاب او من حافظته وتكون نتيجة التحصيل ان يقول الطالب قرات على فلان. الالماع، ص: 70

17- وهي التصريح من الشيخ لطالبه برواية نصوص او كتب كان قد تلقاها من شيخه.

18- وهي ان يناول الشيخ تلميذه نسخة من كتاب ثم يجيز له رواية هذا الكتاب عن الشيخ.

19- وهي ان يراسل الشيخ تلميذه بمادة او كتاب دون ان يصرح الشيخ للتلميذ برواية هذا الكتاب، ويصرح التلميذ على ذلك بقوله: كتب الي فلان.

20- وهي ان يستخدم الطالب مايوجد في كتب اهل العلم دون تصريح او رواية عن صاحب الكتاب وانما يصرح بقوله وجدت في كتاب فلان. الالماع، ص: 117.

21- تطرق الى هذه الطرق وشرحها الامام السيوطي، في تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1431هـ ، ج1، ص:526 وما بعدها في كتابه المزهر في علوم اللغة وانواعها، المكتبة العصرية، القاهرة، دط، ص ص: 144- 170.. ينظر كذلك: موفق عبد الله عبد القادر، توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، المكتبة المكية، السعودية، ط1، 1414هـ/ 1993م، ص ص: 30-49.

والمتصفح لكتب المتقدمين يتبين حرص هؤلاء على ضبط طريقة الرواية عن الشيخ والتثبت في ذلك حرصا على النقل التام والكامل للنص المنقول دون زيادة او نقصان، ودون تحريف أو تصحيف، لذلك كثيرا ما كان يعاب على من يدلس في الرواية والنقل عن العلماء باستخدام ألفاظ هي لا تعبر عن حقيقة طريق الرواية عن الشيخ، عن طريق التدليس بالألفاظ كأن يستخدم الراوي لفظ "عن" بدل لفظ "في" في النقل عن طريق الوجادة مثلا، وذلك ليوهم القارئ انه أخذها رواية عن صاحب الكتاب وهو إنما وجد المعلومة في الكتاب دون روايتها مشافهة وسماعا عن صاحب الكتاب، يقول القاضي عياض في ذلك: " والذي استمر عليه عمل الأشياخ قديما وحديثا في هذا – يقصد الرواية عن طريق الوجادة- قولهم: وجدت بخط فلان، وقرأت في كتاب فلان بخطه، إلا من يدلس فيقول: عن فلان ... وقد انتقد هذا على جماعة عرفوا بالتدليس"[22].

ولعل هذا الحرص في ضبط طرق الرواية والتثبت فيها هو الأمر الذي حصن الكتب من التعرض للزيادة والنقصان باعتبار الحفظ هو الحكم الأساسي على محتوى هذه الكتب، فكان السماع والحفظ قبل الكتابة والتقييد، كما كان الخلل في الكتابة وما يقع فيها سرعان ما يكتشف ويصحح بالاعتماد على النسخة المحفوظة في أذهان الطلبة الحفاظ، وهو ما جعل النظر في الكتب والتحقيق في صحة ما تحتويه او ما نسميه حديثا بعلم تحقيق المخطوطات يتأخر ظهوره، ولم تظهر بوادره الأولى إلا بعدما بدا الحفظ والسماع يتلاشى كطريقة أساسية لتلقي العلم، وتفشى الاعتماد على الكتابة وكثرة النسخ عن الكتب، وامتهان هذه المهنة " الوراقة او النساخة" من طرف أناس ليسوا متخصصين فيما ينسخون عن أصول الكتب المخطوطة، فوقع الكثير من التصحيف والتحريف للنصوص، ووجود فوارق كثيرة بين نسخ المخطوط الواحد، لذلك يذكر المؤرخون والعلماء "أن الثقة بالوراقين كانت نازلة، لأنهم لم يكونوا في الغالب من العلماء أو من أهل الرواية، بل هم أهل صناعة وتكسب، وقد عرف الطعن فيهم قديما"[23].

ولهذه الأسباب لم يكن العلماء يجيزون أن يقرا احد لطلابه شيئا من كتاب أو ينقل منه شيء في كتاباته إلا إذا كان قد قرأ هذا الكتاب على مؤلفه، أو على من قراه على مؤلفه، وحصل على إجازة من شيخه على قراءة هذا الكتاب، كما كانوا لا يقبلون من احد

22- القاضي عياض، الالماع، 117.

23- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص: 21.

أن يأخذ علمه من الكتب وحدها، ويسمون من يفعل هذا "بالصحفي"، أي الذي يأخذ علمه من الكتب والصحف دون سماعها من الشيوخ مشافهة وإلقاء[24].

لقد أدى الاستنساخ من أصول الكتب وتعدد النسخ عن الأصل الواحد، وما صاحب ذلك من ظهور الاضطراب والخلل بين نسخ الأصل الواحد بسبب ما يقع فيه النساخ من التصحيف والتحريف وانتقال للنظر أثناء عملية النسخ إلى ضرورة إمعان النظر في نسخ الكتاب الواحد ومحاولة الوصول إلى الصورة الحقيقة التي ترك عليها المؤلف كتابه، بإعمال النظر والتدقيق من اجل الوصول إلى الخلل الوارد في النسخ وتصحيحه.

3- علم التحقيق وتطوره عند علماء المسلمين

مما هو مشهور عند كثير من الباحثين أن مصطلح التحقيق لا يوجد له ذكر في التراث العربي الإسلامي وان هذا العلم ظهر في القرن الخامس عشر ميلادي ونشأ وترعرع في أوربا على يد الأوربيين وذلك حين اهتمامهم بنشر الكتب اليونانية القديمة[25] متجاهلين أو جاهلين للجهود المبذولة من طرف العلماء المسلمين قبل هذه الفترة بكثير، ولعل ذلك يرجع لربطهم لهذا العلم بالاصطلاح الذي أطلق عليه حديثا وهو "علم التحقيق" دون مراعاة تلك الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء في هذا المجال والتي تعتبر من أدق الضوابط -إن لم نقل أدقها على الإطلاق- التي وضعت لضبط النصوص ومعالجتها والحفاظ عليها من آفات التغيير والتبديل، والعبرة بحقيقة الشيء لا بالمسمى كما يقال في القاعدة "لا مشاحّاة في الاصطلاح"[26].

لقد وردت كلمة التحقيق في المصنفات القديمة في التراث العربي الإسلامي، حيث أطلق هذا اللقب على العالم المدقق في الكتب المعتني بتمحيصها، حيث كان يسمى "محقّا"، يقول الجاحظ:" إنه لم يخل زمن من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة إلا وفيه علماء محقون قرءوا كتب من تقدمهم ودارسوا اهلها، ومارسوا الموافقين لهم، وعانوا المخالفين لهم، فمخضوا الحكمة وعجموا عيدانها، ووقفوا على حدود العلوم،

24- رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1985م، ص: 16.

25- برجستراسر جوتهلف، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1995م، ص:11.

26- ينظر: عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1244هـ، 2002م، ص: 15، 14.

فحفظوا الامهات والاصول، وعرفوا الشرائع والفروع، ففرقوا ما بين الاشباه والنظائر، وصاقبوا بين الاشكال والاجناس، ...واستنبطوا الغامض الباطن بالظاهر البيّن، واستظهروا على الخفي المشكل بالمكشوف المعروف وعرفوا بالفهم الثاقب والعلم الناصع"[27]، ومنهم من سمى عملية التحقيق بالتصحيح.

ويعتبر عمل علماء الحديث في ضبط الروايات والتشديد فيها والاعتناء بالسند والمتن الخاص بالحديث والتدقيق في معناه، والتثبت ممن نقله ووضع اصطلاحات وشروط لقبول الرواية نظرا لما تقتضيه طبيعة المادة المتناقلة المتمثلة في الوحيين الكتاب والسنة وهما مصدر التشريع الأساسيين ومخافة وقوع التحريف فيهما القاعدة الأساسية لوضع قواعد التحقيق عند علماء الإسلام، كمعرفة التصحيفات في المتون، ومعرفة المتشابه في قبائل الرواة وبلدانهم واساميهم وكناهم وصنائعهم[28].

أو باب المقابلة وتصحيح الكتاب، وباب ذكر ما يجب ضبطه واحتذاء الأصل فيه، وباب ما جاء في تغيير نقط الحروف لما في ذلك من الإحالة والتصحيف[29]. أو باب في التقيد بالكتاب والمقابلة والشكل والنقط والضبط، وباب التصحيح والتمريض والتضبيب، وباب إصلاح الخطأ وتقويم اللحن، وباب التخريج والإلحاق للنص[30]، او بيان كيفية إلحاق السقط في الحاشية، والاعتناء بضبط اختلاف نسخ الكتاب والتمييز بينها[31]. او كما جاء في كتاب الاقتراح حول مقابلة النسخ وكيفيتها، والاعتناء بالضبط وخاصة

27- الجاحظ، ابي عمرو عثمان بن بحر، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1384ه/1964م، ج1، ص: 338.

28- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، معرفة علوم الحديث وكمية اجناسه، تح: احمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط1 1424ه/2003م، ص: 433 .

29- الخطيب البغدادي، احمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، الطبعة العثمانية، ص: 237 وما بعدها.

30- القاضي عياض موسى عياض اليحصبي المالكي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد احمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط1، 1970م، ص: 146.

31- ابن الصلاح، ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري(ت: 643ه)، معرفة انواع علوم الحديث، تح: نور الدين عتر،دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر ، دمشق، دط، ص ص: 190-201.

أسماء البلاد الأعجمية[32]، أو المقابلة بين النسخ والتخريج وكتابة الحواشي[33] أو المقابلة وتخريج الساقط وكيفية العمل في الجمع بين اختلاف الروايات، وإصلاح اللحن والخطأ[34]

والأمثلة على ذلك كثيرة ومستفيضة في كتب علماء الحديث حول ورود كثير من المصطلحات وإجراءات التثبت التي تتطابق اليوم مع مناهج تحقيق المخطوطات تناولت في مجموعها قضايا مقابلة النسخ وإصلاح النص وضبطه[35].

ومن ابرز أعمال علماء الحديث في مجال تحقيق المخطوطات والعمل فيها بنهج التحقيق الحديث بصفة تقريبية العمل الذي قام به اليونيني (ت: 701هـ) رحمه الله[36] من خلال تحقيق روايات "صحيح البخاري" للعالم المحدث المشهور البخاري (ت: 256هـ)، حيث توج عمله هذا بالنسخة الموجودة بين أيدينا اليوم من هذا الكتاب.

إن العمل الذي قام به اليونيني يعد عملا نوعيا وتحقيقا دقيقا يمكن ان يصنف في مصاف بدايات علم التحقيق الجدي عند المسلمين وتتويجا لجهود من سبقة من علماء الحديث حول ضوابط التحقيق والتثبت حول النصوص. فلقد كانت نسخ الصحيح مختلفة ومضطربة ورواياتها متداخلة ومتشعبة، وذلك نظرا لكثرة السماعات عنه لكتابه بحكم انه ألّفه بمدة ثلاث وعشرين سنة قبل وفاته رحمه الله فتناقله عنه خلق كثير، وممن رواه عنه: الفربري (ت: 320هـ)، والنسفي (ت: 295هـ)، وحماد بن شاكر النسوي(ت: 290هـ)، والحسن المحاملي (ت: 330)، كما قام بشرحه لأول مرة الإمام الخطابي (ت: 386هـ)، وقد

32- ابن دقيق العيد، تقي الدين محمد بن علي، الاقتراح في بيان الاصطلاح، تح: قحطان عبد الرحمن الدوري، دار العلوم، الأردن، ط2، 2007م، ص: 386.

33- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الشافعي (ت: 733هـ)، تذكرة السامع والمتكلم، في آداب العالم والمتعلم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1433هـ/ 2012م، ص: 132

34- كما جاء في كتاب فتح المغيث شرح الفية الحديث للسخاوي (ت: 902هـ).

35- ينظر: محمود مصري، تأصيل قواعد تحقيق النصوص، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج: 49، ج: 1 و 2، شوال 1426هـ/ نوفمبر 2005م، ص: 46 وما بعدها.

36- هو شرف الدين ابو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن عيسى البعلبكي الحنبلي، ولد سنة 621هـ/ 1224م، عالم بارز ومحدث، سمع من ابن الزبيدي وابن الصباح، واخذ عنه العلم الذهبي وابن مالك اللغوي . توفي سنة: 701هـ/، 1301 م ترجمته في: طبقات الشافعية ج5، ص:28، فوات الوفيات ج 2، ص: 227، نفح الطيب ج7، ص: 63 .

جاءت نسخ هذا الكتاب مختلفة ومعقدة، لذلك انتشر الاشتغال في القرن السابع على دراسة وضبط اختلافات نص صحيح البخاري بناء على رواياته المختلفة، ومن ذلك ما قام به اليونيني من اعداد النص الموجود اليوم من خلال مراجعة رواياته وتحقيقها وإصلاح الخلط والخلل الوارد فيها في عمل تحقيقي دقيق نشر هو بنفسه تقريرا عنه[37].

وسار الأمر على ذلك النحو وبتلك الأصول لدى علماء الحديث وغيرهم من الحفاظ والضباط والفقهاء والمدققين من تحقيق الكتب وتصحيحها، والتثبت في رواياتها، وضبط محتواها، ومقابلة نسخها، كل ذلك بضوابط علمية نظرية تتطابق في كثير من جوانبها مع قواعد تحقيق المخطوطات الحديث، غير انهم كانوا يثبتون على اغلفة كتبهم لفظة: " تصحيح" او كلمة:" ضبط وتصحيح"[38] بدل كلمة:" تحقيق" الحالية.

ان هذه القواعد المعتمدة في ضبط النصوص في التراث العربي الاسلامي لم تدون في كتاب مستقل وتسمى بهذا المسمى الحديث، بل اخذت مسميات اخرى تندرج عناوين فرعية من مؤلفات تعنى بضبط الرواية تارة، وتتناول علم مصطلح الحديث ودراسته رواية ودراية تارة اخرى، او تأتي في كتب تتعلق بآداب طالب العلم والعالم في احايين كثيرة، الا أن هذه القواعد من حيث الدقة والضبط تفوق تلك القواعد التي اصطلح عليها في علم تحقيق المخطوطات حديثا وذلك للاعتبارات الشرعية السامية المتعلقة بقداسة النص المصحح التي ذكرناها أنفا.

ثم ظهرت كلمة التحقيق لأول مرة على الكتب المنشورة في بداية القرن العشرين متمثلة في العمل الذي قام به العلامة احمد زكي باشا اثر تحقيقه لكتابي: " انساب الخيل" و" الأصنام" لابن الكلبي[39] غير أن هذه القواعد طبقت على النص دون تدوينها في مؤلف مستقل،

ويظهر أول عمل جمع قواعد للتحقيق بصورة مختصرة الدكتور محمد مندور عند تحقيقه لكتاب:" **قوانين الدواوين**" لابن مماتي[40]، وفي سنة 1951 وضعت اللجنة المكلفة

37- مخطوط بمكتبة الازهر رقم: 1/ 503 مجموعة رقم 225، الاوراق: 103-105 نقلا عن: رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث، ص: 14.

38- عباس هاني الجراح، تحقيق المخطوطات، مناهجه، قواعده، اعلامه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ص: 14.

39- رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص: 57.

40- بمجلة الثقافة بالقاهرة، العددين: 277، 280، سنة 1944م.

بنشر تاريخ دمشق تحت إشراف "**المجمع العلمي العربي بدمشق**" قواعد موجزة للنشر في مقدمة الجزء الأول منه.

ويعتبر عمل الدكتور عبد السلام هارون في كتابه " **تحقيق النصوص ونشرها**" الذي طبع سنة 1374هـ/ 1954م بالقاهرة من الأعمال العربية الهامة في مجال قواعد تحقيق المخطوطات باعتباره عملا مستقلا مخصصا لهذا الفن من ناحية، وباعتباره خلاصة لخبرات طويلة عاشها صاحبه في مجال تحقيق التراث، كما ثنى الدكتور صلاح الدين المنجد بعمل آخر في هذا المجال سنة 1955م في الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة "**معهد المخطوطات العربية**" بالقاهرة، وهو عمل جمع فيه صاحبه خلاصة جهود المحدثين الغربيين والعرب، وجهود علماء الحديث قبلهم، وتظهر فيه إشادته بجهود المستشرقين واعتبارهم السباقين إلى هذا الفن[41]، مع ملاحظة أن علماء الحديث كانوا في حقيقة الأمر هم من وضع اللبنات الأولى لهذا العلم منذ القرن الرابع الهجري.

4- نشر النصوص عند المستشرقين

ان التطوات الحاصلة في العالم الاسلامي اثر الحركة الاستعمارية والنهضة التي عرفتها الساحة الثقافية والفكرية جعلت الاعتناء بالتراث المخطوط من اهم صفات هذه الفترة، خاصة بعد ذلك الاهتمام الذي اولاه المستشرقون لهذه النصوص الثمينة، التي تحتاج في نظرهم الى مزية اهتمام وعناية فادى ذلك الى ظهور حركة واسعة في مجال نشر نصوص التراث الاسلامي من طرف هؤلاء المستشرقين بعد ضبطها وترجمتها[42] ومعرفة محتوياتها وتدبيجها بدراسة مستقلة عن تلك النصوص المعنية بالنشر.

وهناك ثبت هائل من اعمال التحقيق التي قام بها هؤلاء المستشرقون فمن المدرسة الفرنسية نجد المستشرق سيلفستر دي ساسي (Sacy Silvester De) 1758-1838م الملقب بأب المستشرقين الذي حقق (مقامات الحريري، وكليلة ودمنة، وغيرهما)[43] وكان له دور في ترجمة بيانات عند الاحتلال الفرنسي للجزائر والحملة الفرنسية على مصر، ومن المدرسة الانجليزية وليم رايت (W. Wright) الذي نشر الكامل للمبرد

41- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط5، ص:3.

42- ينظر: حورية الخمليشي، ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، دار الامان، الرباط، ط1، 1431هـ/2010م.

43- رائد امير عبد الله الراشد، المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث العربي الاسلامي المخطوط، مجلة اداب الرافدين، العراق، عدد 67، ص: 440.

سنة 1864، وتشارلس لايل(Ch. Lyall) الذي نشر المفضليات لابن الانباري في بيروت سنة 1920م ووضع له ترجمة امينة بالانجليزية، والمدرسة الهولندية التي اخرجت اشهر المستشرقين المشتغلين بالتراث العربي المخطوط كالمستشرق رانيهارت دوزي (Rienhart Dozy) 1820- 1883م الذي حقق مجموعة من المخطوطات المهمة في تاريخ الغرب الاسلامي ككتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، والبيان المغرب لابن عذاري المراكشي، وبيفان (Bevan) الذي نشر نقائض جرير والفرزدق. والمدرسة الالمانية التي فاقت غيرها شهرة في هذا المجال وانجبت اشهر المستشرقين خدمة للتراث المخطوط الا وهو كارل بروكلمان (Brockelmen Carl) 1868-1956م صاحب موسوعة تاريخ الادب العربي، وقوستاف يان(G. Jahn) الذي قام بنشر شرح المفصل لابن يعيش سنة 1882م، كما قام بترجمة كتاب سيبويه الى الالمانية، والمستشرق فستنفلد فرديننند (Wustenfeld) الذي نشر سيرة ابن هشام ، واثار البلاد للقزويني كما نشر اخبار قبط مصر للمقريزي سنة 1899م، ورودلف جاير (R. Geyer) الذي نشر ديوان الاعشى الكبير سنة 1928م[44]

وفي حقيقة الأمر فإن هذا العمل الذي قام به هؤلاء المستشرقون نابع عن رغبة ملحة في الكشف عن مكنونات المخطوطات العربية الإسلامية للإفادة منها ومن محتوياتها الثمينة في مجالات العلوم المختلفة، مقابل خدمة قدمت لهذا التراث وهو تحقيقه ونشره وجعله متاحا للباحث العربي، فكان هذا مقابل ذاك، غير ان ما يهم في هذه النقطة هو الأصول والضوابط التي اعتمدها هؤلاء في ضبط النصوص قبل نشرها.

والمعني بالحديث في هذا الموضع ليس حجم وعدد المخطوطات التي قام المستشرقون بتحقيقها فهي كثيرة جدا كما ان التحقيق قام به جمع غفير من هؤلاء المستشرقين الفرنسيين والألمان والبريطانيين والأسبان وحتى الروس، ولكن الحديث موجه إلى فئة المستشرقين الذين ألفوا في موضوع علم وقواعد تحقيق المخطوطات حتى أصبحت مؤلفاتهم مراجع في هذا الموضوع.

ومن الملاحظ بين يدي الخوض في هذا العنصر عدم توفر منشورات كثيفة حول الموضوع من طرف المستشرقين والغربيين، بل حتى ما هو محتشم لا يتوفر بين أيدينا باللغة الاصلية التي كتب بها سواء اللغة الألمانية كما هو الشأن لمؤلف المستشرق

44- ينظر: رائد أمير، المرجع السابق، ص ص: 444 ومابعدها. رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص: 57، 58.

الالماني برجستراسر، او باللغة الفرنسية كما هو الشان بالنسبة لمؤلف المستشرقان الفرنسيان سوفاجييه وبلاشير، والمعلومات المهمة حول هذا الموضوع وردت في المراجع بصفة مقتضبة ومختصرة.

ومن خلال ما هو متوفر بين أيدينا من المصادر فإنّها تشير إلى أوّل لبنات قواعد التحقيق التي وضعها المستشرقون والتي ترجع إلى القرن الخامس عشر للميلاد، وذلك عند الاهتمام بشر الكتب القديمة اليونانية واللاتينية القديمة، وفي هذا الصدد يقول برجستراسر: " فكانوا يومئذ إذا وجدوا كتابا من كتب القدماء قاموا بطبعه: لا يبحثون عن النسخ الأخرى لهذا الكتاب، ولا يصححون إلا أخطاءه البسيطة"[45].

وتعتبر هذا اللبنة الأولى لنشر النصوص المخطوطة عند الغربيين في القرن الخامس عشر وهي على ما يبدوا محاولة أولية الغاية منها هي إحياء التراث اليوناني القديم ونشره دون التركيز على معالجة هذه النصوص بشيء من التحقيق والتثبت كما كان يفعل المسلمون، خاصة وان هذه الفترة تعتبر حقبة فاصلة في خروج أوربا من عصورها المظلمة واعتناء علمائها بالتدوين والتّأليف وتشجيعهم لبعث التراث العلمي والأدبي اليوناني لقديم. غير أن العمل على هذه الكتب في بداية الأمر اقتصر على تصحيح بعض الأخطاء الظاهرة الفاشية التي تحتاج ضرورة إلى تصحيحها ثم نشر هذه الكتب دون اللجوء إلى البحث عن نسخ لهذا الكتاب أو ذاك والعمل على مقابلتها كما هو الحال في قواعد تحقيق النصوص المخطوطة[46].

وعليه فان عملية التصحيح للأخطاء الواردة في هذه النصوص قبل نشرها يعتبر لبنة في مجال نشأة وتكوين علم تحقيق المخطوطات عند الغربيين ولو أنها محتشمة ومتواضعة.

ثم تطور الأمر عندهم بعد ذلك إثر ظهور علم "الآداب القديمة"، أو ما يسمى عندهم بـ "philology " إلى العمل على جمع النسخ العديدة للمخطوط الواحد والعمل على مقابلتها مع تثبيت ما يرونه صوابا في الأصل والإشارة إلى الاختلافات الموجودة في النسخ الأخرى في الهامش، دون استقصاء لكل الأخطاء الواردة في النص والتدقيق فيها، فكان العمل بذلك انتقائيا، إلا انه أثمر وصول هؤلاء العلماء إلى استنتاجات حدسية كانوا

45- برجستراسر، جوتهلف ، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، اعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1995م، ص: 11.

46- برجستراسر، المرجع نفسه، ص: 11.

يعولون عليها في تصحيح الأخطاء ومخالفة ما هو مروي في النص، وهو بطبيعة الحال خطوة مهمة نحو إنشاء علم تحقيق المخطوطات الحديث.

ولم تظهر الأصول والقواعد النظرية في تحقيق النصوص المخطوطة عند الأوربيين إلا في أواسط القرن التاسع عشر، عندما وضعوا أصولا نظرية علمية تهدف إلى تنظيم عملية العمل في النص المخطوط للوصول به إلى الأصل الصحيح دون أخطاء وهو ما يسمى عندهم حينها بـ "text criticism"[47].

غير ان نضج التأليف في هذا العلم والفن عند الغربيين لم يتم إلا في بداية القرن العشرين، من طرف المستشرق الألماني برجستراسر جوتهلف(Bergstrasser)، وذلك بكتابة محاضرات تتعلق بعلم تحقيق النصوص ألقيت على طلبة اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة سنة 1931م، وهي مجموعة في كتابه المشار إليه آنفا " أصول نقد النصوص ونشر الكتب".

يعتبر الكتاب ثمرة مجموعة من الخبرات التي اكتسبها برجستراسر في رحلة عمله في تحقيق المخطوطات العربية، وسعة علمه باللغات الشرقية القديمة، وقد احتوى ثلاث جوانب مهمة في مجال قواعد التحقيق هي: النسخ ، والنص، والفصل الثالث في العمل والإصلاح، حيث بين في باب النسخ مقامات النسخ وكيفية ترتيبها وبيان مراتب النسخ معتمدا في ذلك على كمال النسخة ووضوحها وقدمها معيارا في التفضيل بين النسخ، كما تحدث عن دور النّسّاخ في الإحسان إلى المخطوط أو الإساءة إليه تبعا لثقافة الناسخ ومعرفته بالعلم الذي ينسخ فيه ومدى جودة خطه، إضافة إلى الحديث عن قراءة النص ورواياته ومقابلة نسخه والآليات التي يتم الاعتماد عليها في هذا الشّأن، وفي الفصل الثالث يتحدث عن إصلاح النص وترقيمه وإعداده للنشر، معتمدا في كل هذه المراحل على خبرته في المجال وطرح نماذج حية عن كل مرحلة من المراحل.

ثم بعد هذا العمل المتميز والذي حاز قصب السبق في النشر الغربي في ميدان علم تحقيق المخطوط ؛ نشر المستشرقان الفرنسيان: بلاشير ريجيس(Régis Blachère) وسوفاجيه جان (Jean Souvaget) باللغة الفرنسية كتابا تحت عنوان" قواعد نشر النصوص وترجمتها" نشر في باريس سنة 1945م، غير أنّي لم اعثر على النسخة الأصلية لهذا الكتاب باللغة الفرنسية في حدود بحثي، وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية وهو يحتوي على صورة ملخصة عن الموضوع. حيث يعرض فيه المؤلفان القواعد

47- برجستراسر، المرجع السابق، ص: 11.

المصطلح عليها في مجال تحقيق المخطوطات العربية، أو ترجمتها، بداية من صفحة العنوان،إلى غاية ملاحق الكتاب المحقق أو المترجم، متطرقا إلى علامات الترقيم والإملاء والحواشي والاستدراكات، وغيرها ذلك، وقد قدم المترجم عرضاً هاماً للفترة التي سبقت تسلمنا راية تحقيق المخطوطات العربية من أيدي الغربيين[48]

وعلى الرغم من انتشار هذه النظرية بين الغربيين حول منشأ علم التحقيق عندهم وزمنه؛ الا ان التساؤل الذي يطرح في هذا الموضع هو مدى اقتباس الغربيين - خاصة المعاصرين منهم- من كتب التراث العربي الإسلامي في مجال قواعد ضبط النصوص وإصلاحها، حيث أن احتكاك هؤلاء بهذا التراث يرجع إلى فترات أقدم من هذه بكثير إذ اعتنى رجال الدين والقساوسة بهذا التراث ترجمة وشرحا من اجل الاستفادة من محتواه منذ الحروب الصليبية إلى عصر الاستشراق الحديث، وهذه المخالطة لا يمكن ان تمر دون الاستفادة من هذا التراث في هذا المجال من طرفهم.

في هذا السياق يصرح المستشرق الألماني برجستراسر بسبق علماء الإسلام في وضع ضوابط التحقيق واهتمامهم بهذا الأمر والعناية به وبقيمة النسخ ومراتبها حيث يقول:" وكان كتاب المسلمين يشيرون غالبا الى وجود نسخ المخطوطات التي كتبت بخط مشاهير المؤلفين في اماكن بعينها، وقد بقي عدد لا باس به من أمثال هذه المخطوطات التي كتبت بخط مؤلفيها إلى يومنا هذا"[49]، ويقول في موضع آخر:" والمرجح أنّ علماء العرب كانوا أكثر تقديرا لقيمة المخطوطات المكتوبة بخط مؤلفيها من علماء الغرب"[50]. وهذا في معرض كلامه عن ترتيب النسخ وقيمتها وهو اقرار في فرع من أصول كثيرة وضعها علماء الإسلام في هذا الشأن، وهو إقرار منه إلى سبق المسلمين للأوربيين في هذا المجال. كما تشير الدراسات إلى أنّ المستشرقين الأوائل اتجهوا إلى مجال تحقيق النصوص والتأليف في قواعد التحقيق بعد تأثرهم بأعمال المحققين العرب والمسلمين الذين قاموا بأعمال نشرت عليها عبارة "تحقيق" لأول مرة في صدر القرن المنصرم[51].

48- ريجيس بلاشير وجون سوفاجييه، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ترجمة: محمود المقداد، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق نظرا لعم توفر الكتاب المترجم اخذت معلومات عن محتوى الكتاب والترجمة من الموقع الالكتروني الذي عرض العمل والكتاب وهو غير متوفر بصيغة رقمية .pdf ولم اتمكن من الوصول اليه في حدود بحثي.

49- برجستراسر، المرجع السابق، ص: 16.

50- نفسه، نفس الصفحة.

51- رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص: 57.

الخاتمة: بناء على ما تقدم يتبين جليا أنّ قواعد تحقيق النصوص المخطوطة تمتد جذورها إلى صدر الحضارة العربية الإسلامية المبنية على وجوب التحري والدقة في النقل من منطلق الأمانة العلمية من ناحية، ثم من باب الحفاظ على العلم من التحريف والتبديل العارض له من كثرة النقل من ناحية اخرى، ثم تطور هذا الامر حتى اصبح يشكل مجموعة من الضوابط التي كثر تداولها بين علماء الحديث، وضمن كتب اداب العالم والمتعلم منذ القرن الرابع الهجري، وانتشرت بعد ذلك في اوربا خلال القرن الخامس عشر للميلاد بعض البوادر الداعية الى ضبط نصوص الاداب اليونانية القديمة قبل نشرها، غير انها لم تكن سوى بعض التصحيحات للاخطاء الشائعة قبل النشر ولم ترق الى تلك الدقة المتناهية للشروط والضوابط التي وضعها علماء الحديث، وفي بداية القرن المنصرم ظهرت بعض الاعمال العربية التي نشرت مخطوطات كتب على واجهة كتبها لاول مرة مصطلح " تحقيق"، ثم بعد انقضاء الثلث الاول من هذا القرن ظهرت اعمال بعض المستشرقين التي نشرت تنظيرات وقواعد مقترحة لضبط نصوص المخطوطات وتحقيقها واول من اصدر في ذلك كتابا المستشرق الالماني برجستراسر بعد نشره لمحاضرات في هذا الشان كان يلقيها في جامعة القاهرة، ثم جاءت بعد ذلك التأليفات تترى في هذا العلم الذي تضج حديثا واصبحت التاليفات فيه مستفيضة.

المصادر والمراجع:

- برجستراسر جوتهلف، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1995م.
- بشار عواد معروف، ضبط النص والتعليق عليه، مؤسسة الرسالة، 1402هـ/1982م.
- البغدادي الخطيب، احمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، الطبعة العثمانية.
- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.
- الجاحظ، ابي عمرو عثمان بن بحر، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1384هـ/1964م.
- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الشافعي، تذكرة السامع والمتكلم، في آداب العالم والمتعلم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1433هـ/ 2012م.
- حاتم صالح الضامن، المنهج الامثل في تحقيق المخطوطات، العراق، بغداد، 1420هـ1999م.
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، معرفة علوم الحديث وكمية اجناسه، تح: احمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط1 1424هـ/2003م، ص: 433 .
- ابن دقيق العيد، تقي الدين محمد بن علي، الاقتراح في بيان الاصطلاح، تح: قحطان عبد الرحمن الدوري، دار العلوم، الأردن، ط2، 2007م.

- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، ، دار الفكر العربي، بيروت ، 1422هـ .
-رائد امير عبد الله الراشد، المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث العربي الاسلامي المخطوط، مجلة اداب الرافدين، العراق، عدد 67.

- رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1985م.

- الزمخشري ، محمود بن عمر بن احمد، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م .
- السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1431هـ.
- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وانواعها، المكتبة العصرية، القاهرة، دط.
- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط5.
- ابن الصلاح، ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، معرفة انواع علوم الحديث، تح: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر ، دمشق، دط.

- عباس هاني الجراح، تحقيق المخطوطات، مناهجه، قواعده، اعلامه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط.
- عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1244هـ، 2002م.
- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م.
- عياض موسى عياض اليحصبي المالكي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد احمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط1، 1970م.

- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ، 1979م .

- محمد طه الحاجري، تحقيق التراث تاريخا ومنهجا، مجلة عالم الفكر، مجلد8، عدد1، 1977م.
- محمد عجاج الخطيب، أصول التحقيق بين النظرية والتطبيق، بحث نشر في كتاب صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد " ندوة " .
- محمود المصري، تأصيل قواعد تحقيق النصوص، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج: 49، ج: 1 و 2، شوال 1426هـ/ نوفمبر 2005م.

- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، تح: محمد بيومي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.
- ابن منظور، محمد عبد الله بن المكرم، لسان العرب، مج1، دار المعارف، القاهرة.
- موفق عبد الله عبد القادر، توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، المكتبة المكية، السعودية، ط1، 1414هـ/ 1993م.